

تحديات وعقبات أمام الحياة الروحية للمسلمين

الدكتور عبد السلام بلاجي

باحث من الرباط - المملكة المغربية الشقيقة



الإسلامية بمختلف شعوبها إلا من رحم ربي وقليل ما هم تواجه صعوبات شتى وتحديات متنوعة في هذه المجالات وعلى رأسها المجال الروحي وذلك راجع لعد أسباب وعوامل لعل من أهمها ما يلي:

1- تراجع الدور التربوي للأسرة والمجتمع ومؤسسات التعليم:

لقد كانت هذه المؤسسات الثلاث تتعاون وتتكامل في نقل القيم الدينية والأخلاقية وقواعد السلوك الاجتماعي إلى الأجيال، لكن الملاحظ أن هذا التعاون والتكامل تراجع كثيرا، بل

عوامل التحدي والتأزم:

نافلة القول إن شباب الأمم هم عماد مستقبلها وضامن استمرارها، ولذا اقتضى النظر الاستراتيجي البعيد العناية بالمرأة لضمان تربية الأجيال وتماسك الأسرة والمجتمع، وبالشباب لضمان استمرارية رسالة الشعوب والأمم، ولهذا السبب تولي مختلف الأمم كامل عنايتها لشبابها، وتبذل الغالي والنفيس من أجل تأهيله في مكوناته الأربعة: روحيا ونفسيا وعقليا وجسديا لحمل الأمانة ونقل الرسالة، إلا أنه مع بالغ الأسى وشديد الأسف لوحظ أن الأمة

مهووسة وخصوصا الطائفة الإنجيلية المتطرفة التي قرر العقلاء أنها جمعت بين الجشع المادي والغباء السياسي والتطرف الطائفي، وهي صفات من شأنها - لا قدر الله - إن تركت ولم يؤخذ على أيديها أن تخرق وتغرق سفينة الإنسانية، وتقود المجتمعات والأمم إلى التمزق والفتن على المستويات الداخلية، والحروب والصراعات الحضارية على المستويات الخارجية، وفي هذا النطاق تدرج حملات تنصير العالم وخصوصا البلدان الإسلامية تمهيدا لاختراق أنسجتها الاجتماعية وتفكيك مقومات وحدتها الثقافية والسياسية، ولو كان حقا قصدهم الهداية والإرشاد لوجهوا جهودهم إلى بني جلدتهم الذين اخترقتهم الدهرية واللادينية والإلحاد، وإلى الشعوب التي ما زالت تعبد الكواكب والقردة والأبقار والأشخاص.

3. المشاشة الاجتماعية والاقتصادية: مع مرافقاتها من مظاهر

إن دور كل مؤسسة على حدة شهد بدوره قدرا لا ينكر من التراجع لفائدة مؤسسات أخرى مثل الشارع ووسائل التواصل الحديثة التي أخذت ترحف لاحتلال مكانة غير معهودة لها من ذي قبل، ولسنا من دعاة التحجر والانغلاق على مكتسبات هذه الوسائط الجديدة، لكننا مع تحيين دور المؤسسات الأصلية لمواكبة التطور، وتأهيل الوسائط الجديدة لضمان الاستمرارية والتجدد معا، وهذا ما فعله أسلافنا بقوة اقتدار.

2. الزحف المادي وطفيان قيم المجتمعات الاستهلاكية: مع زحف العولمة المتوحشة تحاول قيم المجتمعات الاستهلاكية الحلول محل كل القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية النبيلة، التي قد تقف حائلا دون تحقيق مطامحها في الربح والتبعية والهيمنة، ولو على حساب الإنسانية بكاملها بدعوى العالمية وما هي بعالمية، إن هي إلا تطلعات طوائف وفئات

العالمي، وطاردة لكل ما هو سليم فيهما، وهذا ما يدفع قسما من شبيبتنا إلى هجر إعلامنا إن وجد ومنتدياتنا إن عمرت، فيتجه لإشباع نهمه شرقا وغربا ويمينا وشمالا فإما يقيض الله له يدا حانية تنقذه وإما تتصيد شياطين الإنس يوحى بعضها إلى بعض زخرف القول غرورا وما أكثرها.

5- انتشار الجهل والأمية وعدم

إدراك مخاطر الأعداء: فقد نصّر شياطين الإنجيلية المتطرفة أعدادا من المسلمين بحيل وطرائق تنطلي على الأُميين والجهلة من المسلمين، وهم غالب أمة "اقرأ" مع كامل الأسى وشديد الأسف، ومثال ذلك عشرة اندونيسيين مسلمين تم تنصيرهم دون أن يدركوا معنى التنصير، ولما سئلوا عن سبب تنصيرهم قالوا: بأنه الحصول على المال، ثم سئلوا ماذا سيفعلون بالمال إذا حصلوا عليه؟ قالوا: نؤدي به فريضة الحج!

6- تقلص دور مؤسسات التربية

الفقر والتهميش والإقصاء الاجتماعي، التي تذكرنا بمقولة علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «كاد الفقر أن يكون كفرا»، ومقولته: «لو كان الفقر رجلا لقاتلته»، وغير خاف أن هذه المظاهر وأخواتها تشعر الشباب المسلم وكأنه غير مرغوب فيه في بلاده، وقد تزدهر في أوطانه وترغبه في هجرها أو حربها مما يسهل على المتربصين بشبابنا من تيارات الغلو والعنف والتكفير والتغريب والتنصير والتميع والتفسيخ»، وغيرها أن تتصيد شبيبتنا وتسقطهم فريسة في حبالها، ومعظمهم كاره لذلك ولكنه مضطر إليه.

4- الخصائص الإعلامي والثقافي:

ويتجلى في النقص المريع لبرامجنا الثقافية ووسائلنا الإعلامية من المضامين الإسلامية العربية الأمازيغية الرصينة المشبعة بحمولة حضارية وثقافية فاعلة في محيطها الوطني والإقليمي، مفتوحة ومتفاعلة مع كل ما هو إيجابي في الثقافة الإنسانية والإعلام

ولا أزعج أنني منهم غير أنني أحبهم
كما أحب أمي وأقدم بين أيديهم ما
أراه صواباً من المقترحات، فإن أصبت
فتوفيق الله أصبت، وإن أخطأت فأطعم
في أجر الاجتهاد.

إن الوقت ليس وقت خصام ونزاع
ولكنه وقت كفاح وجهاد، حتى لا
تأكلنا خلافتنا الوهمية أو المتوهمة،
فلا نستيقظ إلا وقد اتحدت ضدنا
الحقيقة الفاجرة مع البدعة الفاجرة،
فيتولد بينهما خسران الدنيا والآخرة،
ولذا نتقدم لهذا المحفل المهيّب بهذه
المقترحات لعل فيها بعض ما يفيد.

1. تشجيع ودعم مؤسسات المجتمع المدني التثقيفية والتربوية:

إن دور الحكومات والأنظمة في معالجة
الوضع مقدر لا ينكر، ولكن الحقيقة
تقتضي أن نعترف أنها مرتبهة بالتزامات
ومواثيق، وما عليها والحال هكذا إلا
أن تولي القسط الأوفر من هذه المهمة
إلى المجتمع ومؤسساته وأن تدعمه
بالإمكانات اللازمة للعمل وشحذ

الدينية والروحية: وهي التي شكلت
في الماضي وتشكل في الحاضر
والمستقبل ملاذ الأمة الآمن الذي تلجأ
إليه في أوقات الرخاء للنهل من معينه
الصافي، وفي أوقات الشدة للاعتصام
به من تيارات المحن، وتتمثل في
جامعات أصيلة ومدارس عتيقة وزوايا
وطرق صوفية وحركات إسلامية،،
ضمرت لأسباب عدة، فترتب عن ذلك
فقر روحي وتربوي شديد.

ثانياً: مقترحات وتوصيات: إننا

لا نملك خيالا واسعا لرسم لوحة
قائمة، ولسنا دعاة التشاؤم واليأس
لأنه لا يئس من روح الله إلا القوم
الكافرون، ولسنا ممن يكفر بأنعم الله
وأفضاله الكثيرة الوافرة، لكننا نصف
جوانب من واقع أمتنا، ما يزال أمام
عقلاء أمتنا فسحة من وقت لإصلاح ما
يمكن إصلاحه بسد ثغرات الخصاص
الروحي والتربوي حتى لا نؤتى من
قبله، وسبيل الإصلاح يقتضي تضافر
جهود علماء الأمة وأهل القرار فيها،

أبواب جهنم وحشرهم من أجابهم من المسلمين فيها، ولا شك أن بلداننا التي قامت وتقوم على الإسلام في أشد الحاجة إلى دعم هذا المقوم الذي دلت وقائع التاريخ القديم والحديث على مركزيته وأهميته في نشأتها واستمرارها وضمّان وحدتها وتلاحم مكوناتها، ولا يتم هذا الدعم إلا بالتصالح التام مع الذات والتكاثف المطلق بين أهل العلم وأهل القرار، حتى لا تأتي نار الخصوم على أخضرنا ويابسنا.

3. المحاسبة والمراجعة وعدم تنزيه الذات عن الخطأ: فلا

كمال ولا عصمة للبشر، وكل البشر معرضون للخطأ وخصوصاً العاملون والمجتهدون، وهم مأجورون في كل الأحوال إذا حسنت النيات وسلمت المقاصد، والقانون القرآني الكوني يعلمنا أنه: +ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك"، فكل أنواع الحسنات رهينة بطاعة الله، وكل أنواع السيئات رهينة

الفعالية، وتتعاون جميع المؤسسات الروحية والتربوية التعليمية، لتدافع المشركين كافة كما يقاتلون الأمة كافة، إن الطبيعة لا تقبل الفراغ والعملة الفاسدة تطرد العملة الصحيحة، وإذا قصرنا في إبلاغ صوابنا اجتهد غيرنا منا ومن خارجنا في نشر باطلهم وفسادهم، وهذا ما يتطلب منا الإسراع لملء الفراغ الإعلامي والثقافي بالمفيد من المواد والبرامج الدينية والفكرية والثقافية والرياضية والفنية البناءة، وعدم ترك الفراغ أمام تجار الحروب ومستغلي الفتن والصراعات الداخلية والكوارث الطبيعية ممن نصبوا أنفسهم أوصياء على الإنسانية رغم أنهم لا يمتلكون من ذلك إلا الضوضاء.

2. تشجيع ودعم الدعاة العالمين

المعتدلين: وإلا حلّ محلهم دعاة بضاعتهم جهل مركب وغلو أعمى، فيقع المحذور الذي حذر منه الرسول صلى الله عليه وسلم والمتمثل في وقوف هذا الصنف من الدعاة على

باتباع الأهواء، وقد ميز القرآن والسنة بين التقليد والابتداع والاتباع بإحسان فأمر بالاتباع بإحسان وقرنه بالاجتهاد، وما أحوجنا إلى العمل والاجتهاد والمحاسبة.

وفي وصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن شكاه الفقر وسوء الأحوال، إرشاد إلى محاسبة النفس ومراجعة الأخطاء الذاتية لتصحيحها وإرجاع الوضع لحاله السوي وذلك وفق الأدب النبوي الرفيع الذي يعالج دون أن يجرح، فعلم السائل وكل الأجيال اللاحقة الدعاء المأثور: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والبخل والجبن، وغلبة الدين وقهر الرجال»، ففي الدعاء إرشاد للعيوب دون تشهير، وبرنامج للعمل والعلاج دونما اتهام أو تشييط، ولعل هذا الأسلوب في العلاج هو الذي حدا بأحمد شوقي أمير الشعراء إلى القول في زمن تكاثر فيه أدعياء الإصلاح:

الاشتراكيون أنت إمامهم لولا

دعاوى القوم والغلو

داويت مثدا وداووا طفرة وأحسن
من بعض الدواء الداء

كما نقل لنا الإمام الشافعي درساً نفيساً في هذا المجال عن شيخه في علوم الحديث الذي وجهه إلى تدارك النقائص والعيوب الذاتية للتمكن من حسن الحفظ والتحصيل، بدل التركيز على الصعوبات الموضوعية على أهميتها من قبيل صعوبة المادة المحصلة وطولها أو تعقدها كما تفعل ناشئنا اليوم برمي مسؤولية الإخفاق على العوامل الخارجية بدل العوامل الذاتية، يقول الشافعي:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي

فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني أن العلم نور

ونور الله لا يعطى لعاصي

وقد لخص شاعر الغرب الحكيم

جماع هذه الحكم والعبر المستفادة
منها في قوله:

نعيب زماننا والعيب فينا

وليس لزماننا عيب سوانا

التنصير كأحد تحديات الأمن
الروحي: المسلمون يؤمنون بالمسيح
وتعاليمه، لكن المطلوب ليس الإيمان
ولكن الوقوع تحت التبعية العمياء
والهيمنة المطلقة، مصداقا لقوله
تعالى: +ولن ترضى عنك اليهود حتى
تتبع ملتهم"، ولقد شهدت الدنيا كلها
أن فتيات مسلمات سترن شعيرات من
رؤوسهن فادعت دولة عتيقة هي أم
العلمانية في أوروبا والعالم، أن خرقة
ثوب تهدد العلمانية والجمهورية فيها
وجردت هؤلاء الفتيات من سترهن
على مرأى ومسمع من العالم كله،
وسط ذهول وعجز الفتيات في زمن
عزّ فيه المعتصمون وكاد أن يصح فيه
قول الشاعر:

رب وامعتصماه انطلقت

من أفواه الفتيات اليتم

صادفت أسماعا لكنها

لم تصادف نخوة المعتصم

ورغم الأسى والمرارة كان من
الممكن ابتلاع كل هذا لولا أن هذه
الدولة نفسها تخطت كل الأعراف
وعلى أعلى المستويات، وتنكرت
لعلمانيتها المزعومة فشهد العالم كله
تدخلها وبشكل سافر وخال من اللياقة
لحماية مستعبدى ومنصري أطفال تشاد
ودارفور من عقاب القانون، وتدخلها
المعلن لدى الجزائر لإلغاء قانون
يحمي مجتمعها ووحدتها وكيانها،
وكأن العالم ما يزال محكوما بمنطق
القوة والغاب والاستعمار، وبنفس
المنطق المتعجرف المتعالي يطمح
غلاة الإنجيليين إلى تغيير خريطة العالم
الدينية والثقافية على هواهم وخصوصا
عالم الإسلام وكأنه ملك لهم.

وكأني بأولئك وهؤلاء كل على
شاكلته يحاولون البرور بوعد الملكة
إيزابيلا والملك فرديناند اللذين أقسما
أمام الكنيسة ليستعمرن شمال أفريقيا
وليقسمنه ولينصرنه، ولكن هيهات

من كان يقول بغير ذا

أو ضده فقد كذب

وإذا كان هؤلاء حقا يبشرون بكلمة

المسيح وتعاليمه فنحن أحرى بموسى

وعيسى ومريم وغيرهم من الأنبياء

والصالحين والمصلحين لا نفرق بين

أحد منهم، وتعاليمهم ورسالاتهم

مضمنة في قرآننا وستتنا، فليتداعوا

معنا إلى كلمة سواء يعترفون فيها بنبينا

ويوقرونه ويوقرون أتباعه، وإذ شاءوا

التبشير بكلمة المسيح عليه السلام

فأمامهم قرابة نصف سكان العالم لا

يعرفونه ولا يؤمنون به، أما نحن فنعرفه

حقا ونؤمن به صدقا ونصدقه قولاً

وعملاً، وإذا تمادى سفهاؤهم على

حياضنا فاللهم اشهد أننا لا نملك أن

نحبس عنهم بعض سفهائنا وقد غلبنا

فيهم على أمرنا، ونحن أول المتضررين

من سفاهتهم علينا وعلى الناس، ولسان

حالهم يقول ولا مقر لهم منا:

إذا بلغ الفطام لنا رضيع

تخر له الجبابة ساجدينا

هيهات، فلرب أشعث أغبر ذي طمرين

لو أقسم على الله لأبره، فكيف إذا كان

هذا الأشعث مسلماً عربياً أمازيغياً حراً

يأبى الضيم ويرفض الاستكانة، فيا

بني جلدتنا المسلمون العرب الأمازيغ

الأحرار أحفاد طارق والخطابي وابن

باديس والمختار السنوسي، هل تأذنون

لواحد منكم أن يطالبكم برفع التحدي

ومواجهة القسم الهجومي بآخر دفاعي:

ألا نسمح لكائن من كان أن يهين كرامتنا

أو يمزق وحدتنا أو يجزئ كياناتنا أو

يهين قيمنا ورموزنا، مهما كانت عدته

وكثر عدده وماله ومدده، متمثلين في

ذلك بقول الله تعالى في الآية الكريمة:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ

لِيُضِدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ

تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ

وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾

الأنفال: ٣٦.

وبقول شاعرنا المسلم مع تصرف

يسير يسره ولا يضره:

شعب المغارب مسلم

وللعروبة ينتسب

في الناس ولا تحمل وزر وازرة على
أخرى، ولا تتمثل قول القائل عن
السفاهات والحماقات: (لم آمر بها
ولم تسؤني).

ألا لا يجهلن أحد علينا
فنجهل فوق الجاهلينا
ويشهد الله وقد شهد الناس
والتاريخ من قبل ومن بعد أننا أمة لا
تكره الناس على دين، وتجير اللاجئ
والمضطّر والمظلوم، وتحمل الكل
وتعين على نوائب الدهر، ولا تتشفى

